

## التلويينات الفونولوجية للتعبير اللهجية في الوعدات الجزائرية. نماذج من الغرب

سعاد بسناسي\*

جامعة وهران 1/ أحمد بن بلة

BIBLID [1133-8571] 24 (2017) 35-45.

**Resumen:** “Variantes fonológicas en fórmulas dialectales de invocaciones argelinas. Modelos occidentales”. La lengua es un componente más que da forma a la identidad nacional, siendo por ello un medio importante de expresión entre los miembros de una sociedad y un instrumento para alcanzar objetivos y metas. Pero además de esto, la lengua se propone la conservación de la tradición popular en sus diferentes expresiones, desde el pensamiento y el sentimiento hasta lo material, así como la fijación de los hitos de los pueblos y las historias de las naciones.

Argelia, con sus variados territorios y sus diferentes patrimonios populares, es abundante en costumbres y tradiciones, lo cual se refleja en la riqueza dialectal y en la diversidad de sus estructuras y estilos que se oyen en los distintos eventos sociales, religiosos o nacionales, y, en particular, en los locales distinguiéndose una región de otra. Es el caso de las invocaciones (*waṣadāt*) que dan forma a los ritos, los pensamientos y las fórmulas sociales.

Cuando hablamos de las invocaciones en Argelia, traemos a colación las particularidades de cada región. La parte occidental posee tipos de invocaciones que merecen ser estudiadas, destacando sus aspectos fonológicos y fonéticos, los cuales repercuten en la comprensión de estas expresiones y comentarios, ya que la dicción de estas invocaciones tiene sus grados, niveles y temáticas; de esto hablaremos con detalle en esta exposición.

**Palabras clave:** Variantes. Fonología. Fórmulas. Invocación. Occidente argelino.

**Abstract:** “Phonological Variation in Dialectical Formulas in Algerian Ritual Promises: The Case of Western Algeria”. Language is considered as one important component of national identity, a vital

---

\* مديرة مخبر اللهجات ومعالجة الكلام. كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها. الاختصاص: لغويات وصوتيات.  
البريد الإلكتروني: besnacisouad@yahoo.fr

means of communication between the members of a single society, and a basic medium of transmitting intentions and purposes. It, furthermore, contributes to the preservation of folklore heritage with its various intellectual, emotional and material aspects. It also determines the landmarks of civilizations and the history of nations.

Algeria, with its diverse geographical areas and folklore divisions, is characterized by a rich diversity of customs and traditions. This goes back to the remarkable variability within its dialectal interactive ways and forms in both social events (religious or national) and local occasions that distinguish one region from another. One particular social, intellectual and expressive event in Algeria is known as ritual promises *wafadāt*.

The ritual promise is in Algeria subjected to regional variation in the sense that it recalls specificities of each local region. The west of the country provides models worthy of study notably at the phonological and phonetic levels, for better understanding the meanings and interpretations behind such an event. Those language structures are graded and levelled, and imply various topics that we intend to tackle in detail in the present paper.

**Key words:** variants, phonology, formulas, ritual promise, Western Algeria

**ملخص:** تعتبر اللغة عنصرا من عناصر تشكّل الهوية الوطنية، وهي بذلك وسيلة هامة لتحقيق التواصل بين أفراد المجتمع الواحد، وتبليغ المقاصد والغايات، فضلا عن ذلك كله، فإنّ اللغة تسهم في الحفاظ على التراث الشعبي، بمختلف موارثاته من معنوية فكرية وعاطفية إلى مادية، كما أنّها تحدّد معالم الحضارات وتواريخ الأمم.

والجزائر بتقسيماتها الجغرافية المتنوعة، وتقاسيم موارثها الشعبوية تزخر بتنوّع العادات والتقاليد؛ وذلك لتنوّع طرائق التواصل اللّهجي، وتلوّن تراكيبه وأساليبه في مختلف المناسبات الاجتماعية من: دينية أو وطنية وكذا المناسبات المحلية التي تميّز منطقة عن أخرى؛ وذلك مثل الوعدات التي تمثّل طقوسا اجتماعية وفكرية وتعبيرية.

وحينما نتحدّث عن الوعدات في الجزائر، نستحضر خصوصيات كلّ منطقة في ذلك. والغرب الجزائري يحتوي نماذج تستحقّ الدراسة، لإبراز الجوانب الفونولوجية وتلويناتها الصوتية، ممّا له تأثيراته على فهم تلك التعابير وتأويلها، لأنّ الإرسال الصوتي في الوعدات درجات ومستويات وموضوعات، ننظر إليها بتفصيل في هذه المداخلة.

**كلمات مفتاح:** التلوينات. الفونولوجيا. التعابير. الوعدة. الغرب الجزائري.

## 0. تقديم

إذا تحدّثنا عن ظاهرة الوعدة فينبغي التّطرّق إلى معناها اللّغوي لاستخلاص اتجاهات فهمها؛ فهي: مشتقّة من الفعل "وَعَدَ"، يَعِدُ وَعْداً...وَعَدَ فُلاناً الأمر / وَعَدَ فُلاناً بالأمر: منأه به، يجرّيه له أو ينيله إيّاه. والوَعْدُ مَا يُقَطَّعُ مِنْ عَهْدٍ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، التزام باحترام عهد التّقْيِدِ به بأمانة<sup>(1)</sup> بمعنى تعهّد بشيء ما؛ أي: أخذ على عاتقه هذا الأمر الدّذي عزم عليه؛ لذلك يقال "وعد الحرّ دَيْنٌ عليه" بمعنى الوعد يتطلّب الالتزام؛

(1) ينظر، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008 م، 2465 وما بعدها بتصرف واختصار.

فالوعدة هي تعهد وقيام بالتزام معين، وتحمل مسؤولية محدّدة. وفي العرف الشعبي هي عبارة عن احتفال ديني، يقوم به أبناء أو أحفاد أو سلالة وليّ من الأولياء الصالحين<sup>(2)</sup>.

ينحصر مفهوم الوعدة في كونها ظاهرة، وهي حديث عن طقوس لغوية وطرائق دينية معينة؛ فهي بذلك نظام وترتيب وإقامة الشعائر، ولا يمكن حصر مفهوم الوعدة الاصطلاحي في تعريف واحد جامع يكون محلّ اتفاق للباحثين المتخصصين. فقد خاض علماء النفس والاجتماع والفولكلور والأنثروبولوجيا جهوداً معتبرة لمحاولة سبر أغوار هذه الممارسة الإنسانية، وكلّ ما يحيط بها<sup>(3)</sup> وله علاقة بها من قريب أو بعيد. وهذا شيء طبيعي أن ينظر إليها كلّ باحث من وجهة تخصّصه.

وقد وجدنا تعريفات متباينة منها ما يقول عن الوعدة إنّها: مجموعة من الإجراءات والحركات التي تأتي استجابة للتجربة الدينية الداخلية، وتهدف إلى عقد صلة مع العوالم القدسية<sup>(4)</sup> وفي ممارسة هذه الطقوس، تأثيرات على مختلف الجوانب السوسولوجية.

يحيي سكّان الجزائر بعامة، والغرب بخاصة، وكذلك بعض مناطق شمال الصحراء على مدار السنة احتفالات شعبية، تعرف باسم: الوعدة أو الطعم أو الموسم أو الركب أو الزردة؛ حيث تكون في أوقات معينة وفترات ثابتة غالباً من كلّ سنة، وتنطلق هذه الاحتفالية الشعبية؛ أي: الوعدة في فصل الربيع وتنتهي في فصل الخريف. كما تقام في العديد من بلديات كلّ ولاية<sup>(5)</sup>، وما يلاحظ في هذا المقام، أنّه وإن اختلفت الوعدات في بعض التظاهرات والخصوصيات الاحتفالية؛ إلّا أنّها تتشابه في عمومياتها؛ لأنّ المغزى منها يتمثل أساساً في الحفاظ على التقاليد الموروثة من الأجيال السابقة؛ لهذا نجد المجتمع الجزائريّ يحرص على الحفاظ عليها ويتمسك بها، كونها تمثل جسراً تواصلياً بالأجيال السابقة.

وهذا الملتقى العلميّ دفعنا إلى التعامل أكثر مع خصوصيات الوعدة في الغرب الجزائري<sup>(6)</sup> وانجّز عن هذا البحث طرح عدّة إشكالات، تمثّلت في: ما هي مكانة الوعدات وأهميتها وخصوصياتها، وهل التمسك

(2) ينظر، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، فراس السوّاح، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سورية، ص 129 بتصرّف.

(3) ظاهرة الوعدة الشعبية في الجزائر بين الاعتقاد والممارسة، عبد القادر فيطس، مقال بمجلة الثقافة الشعبية، البحرين، 2017 م، العدد 17. وينظر في الموضوع، سيدي غانم تراث وثقافة، معاشو بوشمة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2002 م، ص 13 وما بعدها. وينظر، ظاهرة الوعدة، دراسة أنثروبولوجية، أحمد بن أحمد، رسالة ماجستير، معهد الثقافة الشعبية، تلمسان، 1999 م.

(4) ينظر، المكتب السّميّ البصريّ، مصلحة النشاطات الثقافية، مديرية الثقافة، غليزان - الجزائر، أرشيف: 2015 م، 2016 م، بتصرّف.

(5) ومعظم الوعدات الجزائرية المشهورة تقام في الغرب أو شمال الصحراء.

(6) وقد التفت إشكالية هذا الملتقى العلميّ مع أهداف مخبر (اللهجات ومعالجة الكلام) بجامعة وهران 1، كلية الآداب والفنون، بقسم اللغة العربية وآدابها، هذا المخبر يديره أ.د. مكّي دزار كما أشرف من خلاله على الفرقة الثانية مع جملة من الباحثين والأساتذة؛ حيث نعمل على دراسة وتحليل الموروثات الشعبية التي تمثّل جزءاً لا يتجزأ من الهوية الوطنية، والتي تتمثّل في:

بها مازال على حاله كما كان منذ سنوات، أم تعيّر وتبدّل وما أسباب ذلك؟ والأهمّ هو التساؤل عن طرائق حفظها، والتي مركزها الرئيس يتمثّل في "التعابير الفنية" التي من خلالها تحقّق التعامل، ويكتمل التواصل، ومن ثمة حاولنا التركيز على مختلف التلويّنات الفونولوجيّة، لتلك التعابير الفنيّة التي يتمّ بها التواصل والتّفاهم في الوعدة. بالغرب الجزائريّ. من جهة<sup>(7)</sup>، كما يتمّ من خلالها حفظ طقوس الوعدة.

### 1. مكانة الوعدة وأهدافها

يسعى المجتمع الجزائريّ دائماً بمختلف ولاياته، لترسيخ "الواعدة" في ذهنيّات أبنائه من خلال التّرويح لها، والحثّ على حضور طقوس الاحتفال، وكما تعدّ فرصة لأبناء المنطقة، فهي فرصة أيضاً للأجانب السّيّاح والجالية التي تأتي لقضاء عطلها، وهذا من أجل اكتشاف مناقب ومآثر هؤلاء المحافظين على هذا الموروث الشعبيّ العجيب والمتميّز.

وتعدّ "الواعدة" بالنسبة لبعض الأشخاص فسحة للفرجة والتّرويح عن النّفس، ولهذا دائماً نسمع صوت البّزّاح ينادي في الأسواق الشعبيّة والأوساط والتجمّعات البشريّة في الأماكن العموميّة؛ بهدف الإعلان عن هذا الموعد المهمّ، حيث تقتصر وظيفة البّزّاح بحسب تقاليد المنطقة -ثلا في ولاية غليزان- على تحويل المناسبات والتّعاقدات الجماعيّة إلى أخبار عاقمة لفائدة جميع النّاس، ويكون دوره الأساسيّ نقل المعلومات من خلال تسجيل هذا الحدث المهمّ في ذاكرة المجتمع الجزائريّ، ومن ناحية أخرى إعطاء هذه المعلومات شرعيّة ومصادقيّة أكثر وبالخصوص إذا تعلّق الأمر بالوعدات<sup>(8)</sup>.

### 2. مميّزات الاحتفال بالواعدة

بتميّز هذا الاحتفال بنصب الخيام وإطعام المساكين وتلاوة القرآن الكريم، واستعراض فرق الفروسية القادمة من مختلف جهات الوطن، كما تعدّ الموسم المناسب لجمع المتخصصين والإصلاح بينهم، حيث يعمد الأعيان والوجهاء وكبار القوم إلى تجنّب الانتقال إلى المحاكم الإداريّة، وهكذا تعود المياه إلى مجاريها من جديد.

الشّعير الشعبيّ والملحون، الحكاية الشعبيّة، الأمثال والحكم، وغيرها كثير ممّا لا يسع المقام لذكره كلّ هنا وكلّ ماله علاقة بتوارث العادات والتّقاليد في مختلف المناسبات.

(7) وركّزنا على الغرب الجزائريّ لسعة الموضوع وتشعبه، ولأنّ مداخله لا تكفي الموضوع حقّه؛ بل يلزمه عدّة بحوث متتالية ومتكاملة، كما نودّ الإشارة إلى أنّ تعاملنا مع الغرب الجزائريّ كان من خلال نماذج معيّنة فقط، وبخاصّة ولاية غليزان؛ ذلك لأنّ كلّ ولاية تحتفل بعدّة وعدات موسميّة، ولكلّ وعدة خصوصيّة معيّنة.

(8) سبر آراء لبعض المختصّين في التّراث الثقافيّ اللاماديّ والماديّ، غليزان، أبريل 2017 م. بتصرّف.

وتُقام في مناطق الغرب الجزائري الكثير من الوعدات، مثل: ولاية غليزان ومعسكر وتلمسان وعين تيموشنت وسعيدة وتيارت وتيسمسيلت<sup>(9)</sup>، وغيره<sup>(10)</sup>، هذه الأخيرة تعرف بوعيدات موسمية إكراماً لأولياء الله الصالحين المتواجدين في الأرياف والبلديات؛ حيث نجد تسمياتاً في الغالب نسبة إلى هؤلاء المخلصين لدين الله والمهتمين بالشؤون الاجتماعية لأهالي المنطقة التي كانوا يعيشون فيها.

وما يميز هذه المناسبات هو التكفل التام لعائلات المنطقة من أتباع أجداد كل ولي صالح؛ حيث يقومون بنصب الخيام لأجل إطعام الوافدين، وإقامة جلسات دينية يتلى فيها القرآن الكريم، وإلقاء دروس الفقه والسنة؛ ذلك إلى جانب إقامة بعض السهرات الفنية في المديح والطرب البدوي والإلقاء الشعري، وما يثمن هذه التظاهرات والطقوس الاحتفالية هو ألعاب الفنتازيا - والمتمثلة في ركوب الخيل - والتي تشارك فيها فيالق عديدة قادمة من مختلف الولايات المجاورة - تيارت، تيسمسيلت، معسكر، سعيدة، عين تيمونشت... -

### 3. حضور الألعاب الرياضية والحرف التقليدية في الوعدة

كثيراً ما تنظم بعض الرياضات التقليدية، كلعبة العصا وإقامة حلقات شعبية من أجل تقديم عروض سمعية / بصرية كاستنساس الأفاعي عند العيساوة، واللعب بالتار عند فرقة الحمداوة. ويغتنم هذه الفرصة بعض التجار من أجل بيع منتجاتهم وبخاصة الحرفيين منهم كبيع الزرابي، والدوم، والحلفاء، والفخار، والفضة، وصناعة الجلود إلى جانب بعض العقاقير التي لها صلة بالطب التقليدي، والتوابل ذات العلاقة بفنون الطبخ.

### 4. أشهر وعيدات مناطق الغرب الجزائري

منها: وعدة سيدي يحي بسفييف، سيدي بلعباس، وكذلك وعدة المسيد وتسمى ب (4) شاشية تقام في الصيف، وبها مقام مصطفى بن ابراهيم، ووعدة بوحنيقة التي تقام في الصيف كذلك، وعدة فغان بمعسكر، ووعدة سيدي الكحيل بمدينة عين تيموشنت في فصل الصيف، ووعدة البطيم بمغنية ولاية تلمسان، وعدة قرية مولاي التهامي دائرة سيدي بركرو ولاية سعيدة. وعدة عسلة بمدينة عين الصفراء ولاية النعامة، والتي تستغرق ثلاثة أيام، وتمتد للتواصل أحياناً إلى أسبوع كامل<sup>(11)</sup>.

### 5. وعيدات ولاية غليزان

- (9) ينظر للاستزادة: موسوعة التراث الشعبي لتيارت وتيسمسيلت، علي كبريت، دار الحكمة، وزارة الثقافة، د.ت. ج 2، ص 18 وما بعدها. تكون تيسمسيلت من ثماني دوائر، هي: (ثنية الحد، لرجام، برج بونعام، خميسي، الأزهرية، عقاري، وبرج الأمير عبد القادر) وتتضمن اثني وعشرين دائرة. وينظر، مجلة الغروب المحلية، دار الثقافة لولاية تيسمسيلت، 2005 م.
- (10) وقد أحصينا بعض الوعدات في الغرب؛ بل أشهرها -وليس كلها- .
- (11) هذا جمع وإحصاء شخصي ومختصر، ولا ندعي أنه شمل كل الوعدات بالمدن والولايات المذكورة.

من أشهر تظاهرات الوعدة التي تفتخر بها ولاية غليزان، نجد وعدة الولي الصالح -سيدي محمد بن عودة- التي تقام بالبلدية، حيث تشارك فيها قبيلة فليتة المعروفة بكثرة أعراسها، والبالغ عددها خمسة وعشرون 25 عرشاً، يتم فيها اجتماع مشايخ هذه العروش، لتحديد المهام والإعلان عن اليوم الرسمي لموعد التظاهرة الذي ينطلق فيه جمع غفير في مسيرة من الوافدين يتقدمهم المشايخ حاملين الراية المحمدية عند مدخل البلدية بالتّهلّيل والصّلاة على الرّسول الأعظم سيدنا محمد -صلّى الله عليه وسلّم- متوجّهين إلى ضريح الولي الصّالح، حيث يتمّ كسوة القبر بحلة مزركشة من الأقمشة والمحارم مع تلاوة القرآن الكريم من قبل المشايخ وطلبة الرّوايا الوافدين لهذا الجمع النبيل -من وجهة نظرهم-. كما تتخلّل هذه المسيرة أنغام الموسيقى الفلكلورية الشّعبية معبّرة عن فرحة هؤلاء بالموعد، وللعلم يتمّ الإعلان عن هذه الوعدة من قبل الرّزّاح كما ذكرنا آنفاً، حيث يقوم بجمع التبرّعات من مختلف الأسواق الأسبوعية التي تقام عبر إقليم الولاية.

#### 6. مدّة الوعدة وخصائصها الشّعبية

تدوم هذه الوعدة ثلاثة أيّام ابتداءً من يوم الاثنين من كلّ موعد، وفي اليوم الأخير يتمّ نصب الخيمة المنسوجة من الوبر الخام، والتي يتمّ خياطة قطعها من ممثلي كلّ عرش من قبيلة فليتة في جوّ بهيج من زغاريد النّساء، ونغمات الفلكلور والمديح وهذه كلّها تلوينات فونولوجية مؤثّرة، كما أنّه من شأنها جلب الاهتمام والانتباه، إلى جانب الألعاب بالعصي. بعدها يتناول الوافدون الطّبق التقليديّ المتمثّل في الكسكس، ثمّ تنتشر الجماهير عبر مختلف الأماكن المقدّسة، منها: حجر "الباز" الذي يقع بأعالي الجبل، ومقام سيدي عبد القادر وضريح سيدي محمد بن عودة حيث يتكرّم الحضور بتبرعاتهم صدقة للولي الصّالح، ونفقة لمختلف الأعمال الخيرية، وبعدها يتوجّه الزوّار إلى "منبع المالحّة" يتوصّأ فيه المخلصون للتوجّه إلى "مغارة العبادة" التي يرثّل داخلها القرآن الكريم، تيمّناً بالولي الصّالح.

#### 7. الوعدة بين الماضي والحاضر

كان الجزائريون في الماضي يقدّسون هذه المناسبة، ويعتبرونها طقساً احتفالياً مهمّاً في الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية؛ فمن حيث الجانب الاجتماعي كانت تحقّق صلة الوصل بين الأقارب والنّاس، كما أنّها تصلح ما كان من خصومات ونزاعات وغيرها؛ أمّا الجانب الديني، فهي تذكّرهم بعباد الله الصّالحين وزهدهم في الحياة الدّنيا وتمسّكهم بالعبادة، وبخصوص الجانب الاقتصادي، فهي فرصة لعرض التّجار سلّعتهم وصناعاتهم التقليديّة لأجل بيعها<sup>(12)</sup>.

(12) المكتب السّميّ البصري، مصلحة النّشاطات الثقافيّة، مديرية الثقافة، غليزان - الجزائر، أرشيف: 2015 م، 2016 م. بتصرّف.

وأما في وقتنا الحالي؛ فنرى أنّ هذه الطقوس الاحتفالية أصبحت ينظر إليها نظرة غريبة ودخيلة، وكأنّها لم تكن موجودة في المجتمع الجزائري، ونظرة البعض هنا، أنّها من صنع الاستعمار الفرنسي، وجيء بها من أجل القضاء على المقاومة والسيطرة على المجتمع.

كما يرى البعض الآخر، أنّها منافية للدين الإسلامي؛ نظراً لما تحمله من مظاهر الشرك والتمسك بغير الله في قضاء الحوائج. وتبقى الرؤية متذبذبة بين مؤيد ومعارض؛ لكنّه بوسعنا القول: إنّهُ لكلّ طقس احتفاليّ شعبيّ سلبات وإيجابيات؛ بحيث يمكننا رصدّها من خلال الملاحظة والمتابعة والدراسة؛ للكشف عن جوانب أخرى ما تزال تبدو مبهمّة.

#### 8. أهمّ الوعدات بمنطقة غليزان

اسم الوعدة	البلديات / المكان	الموسم
سيدي لزرق	سيدي لزرق	شهر أكتوبر
سيدي سعادة	سيدي سعادة	الأولى في شهر مارس والثانية في أواخر شهر أوت
سيدي يوب	عمى موسى/دوار أولاد علي	فصل الخريف
سيدي عبد الجليلي	عمى موسى/دوار بني اوراغ	شهر أكتوبر
سيدي خطاب	سيدي خطاب	ما بين شهر سبتمبر وشهر أكتوبر
سيدي بوزيد		
سيدي بلمهل	مازونة	أواخر شهر سبتمبر
سيدي بلعسل	بلعسل/دوار الزيتون	
ابن شعيب	بلعسل	
سيدي عبد القادر مول العوسجاء	بلعسل/دوار المكاكية	
الحافيظ	بلعسل	
سيدي عبد القادر	الحمري	أواخر شهر مارس أو شهر ماي
سيدي الصالح		

أواخر شهر سبتمبر	عين طارق	قرناشين
		سيدي امحمد
		قلة بلواد سيدي محمد
نهاية شهر سبتمبر	أولاد يعيش	سيدي المهدي
		سيدي علي
نهاية شهر أوت أو بداية شهر سبتمبر	الولجة	سيدي واضح
شهر أكتوبر	سيدي امحمد بن علي	سيدي امحمد بن علي
أواخر شهر سبتمبر	زمورة	سيدي طيفور
		سيدي محمد بن خدة
		سيدي حراث
الأولى في شهر مارس والثانية في أواخر شهر سبتمبر	بني درقن	سيدي امحمد بن عبد الله المدعو بن شاعة
شهر سبتمبر	سيدي أمحمد بن عودة	سيدي امحمد بن عودة
قبل وعدة سيدي أمحمد بن عودة بأسبوع	وادي السلام	سيدي امحمد بالكبير
أواخر شهر سبتمبر	المطمر	سيدي عبد الهادي
		سيدي بن قندوز
		سيدي امحمد قدار
شهر أفريل	جديوية/دوار دوايدية ودوار حلايمية	سيدي عبد القادر

### 9. السمات الفونولوجية وتأثيراتها في الوعدة

#### 1.9 فرق الفاننازيا:

لقد رأينا كثرة الوعدات في مدينة غليزان، واستمرارها لوقتنا الحالي، رغم ما شأنا من تحولات وتبدلات، وهذه الاستمرارية كانت التعابير الفونولوجية سببا في بقائها، لأن المؤثرات الفونولوجية الحاضرة والموظفة في



الودة لها انعكاساتها، وذلك في مثل "فرق الفانتازيا" وما تقوم به من استعراضات في ساحة كبيرة مخصصة لهذا الغرض. وإنّ فرق الفانتازيا مركّز لا بدّ من وجوده في الودة، وهي مؤثّر فونولوجي، كونها تقوم على مجموعة متباعدة من الأصوات قبل إطلاق البارود مثلا "ها ها ها حوئي هااااا" هذا التعبير الفنيّ الفونولوجي يتكرّر كثيرا، وهو بمثابة جلب الاهتمام والانتباه من جهة، ومناداة بطريقة جماعية من رجال الفرقة. فالفرقة لها تعابير تبدأ بها وأخرى تصاحب حركاتهم، وبعضها يلي استعراضهم، وتبّع كلّ مرحلة بزغريد النسوة المتعالية. ومن ميزات التعبيرات الفنية الفونولوجية هنا، اعتماد مدّ الأصوات كثيرا، والتكرار، وكذلك تفخيم الأصوات وبخاصّة ما هو مرّقّ أصلا، كما في زغريد النساء سمات فونولوجية متنوّعة، تختلف باختلاف طبيعة المنطقة، وطبيعة الصوت، وسنّ المرأة، وغيرها من الخصوصيات المؤثّرة على إرسال الصوت.

### 2.9. البراح وحلقات القصة:

لاحظنا من خلال الكثير من الفيديوهات الخاصة بالودعات، والتسجيلات والحصص التلفزيونية، أنّ الحلقات والتجمّعات لها حضور قويّ في الودة، حيث يحضر البراح ومعه بعض الأشخاص منهم من يحمل القصة، ومنهم من يحمل الدف، ومنهم من يجمع التّفود بعد كلّ عرض، ومنهم من يعرض بعض الحركات المشابهة للسّحر، لكنّه ينفي أن تكون كذلك، بل يقول هي حكمة أتاه الله إيّاها، وتوارثها أبا عن جدّ، وفرق العيساوة، وما تؤدّيه من استعراضات بالتعابرين.

هذا البراح له تأثير من خلال ما يعرضه من أغاني هادفة في معظمها: اجتماعية، صراع الخير والشر، الحقّ والباطل، التفاف والكذب، السّحر، المرأة، وبخاصّة موضوع محو الأمية الذي من خلاله يعرض حيناً تحرّر المرأة وحقوقها، وأحيانا يعرض اللباس غير المحتشم، وبعض التّصرّفات المرفوضة دينيا واجتماعيا من المرأة أو الرّجل على حدّ سواء، ويعرضها بطريقة فكاهية للتّرفيه، وإيصال الفكرة.

### 3.9. المديح الديني:

لا تخلو الودعات من ذكر الله، والصلاة على رسوله الكريم، وأحيانا عرض مقتطفات من سيرته -صلى الله عليه وسلّم- للعبرة والتذكير، والافتداء بمناقبه وصفاته وخصاله، وسرد جزء من قصص الأنبياء بحسب مقتضى الحال، وحسب ما تدعو إليه الحاجة. ويتخلّل هذا تأدية مقتطفات من بعض المدايح الدينية.

### 4.9. الأقوال المأثورة والشعر الشعبي والملحون:

كما لفت انتباهي الميل إلى أقوال "المجنّوب" هذا الرّجل المعروف بالزّبايعات المنسوبة إليه، والتي كان لها صداها في كافّة شرائح وأوساط المجتمعات المغاربية. ومن أقواله الشهيرة التي تردّد في الودة:

مَجْدُوبٌ مَا أَنَا مَجْنُونٌ  
غَيْرُ الْأَحْوَالِ الَّتِي دَارَتْ بَيَّا  
قُرَيْتٌ فِي اللُّوحِ الْمُحْفُوظِ  
وَالسَّابِقَةِ سَبَقَتْ لِيَا<sup>(13)</sup>

وهذا القول يحفظ ويكرر كثيرا، رغم أنّ المجدوب يتحدث عن نفسه، لكن ذلك فيه حكمة تنطبق على الكثير في إنكار الناس بعض الأمور عن شخص ما، وبخاصّة الشخص "المجدوب" بالدال المهملة الذي يزعم أنّه يعلم شيئا من الغيب، فيتكلّم بالألغاز، ويعيّي في أحاديثه، فيصعب تأويلها. ومن الشّعير قوله:

قُلِيلُ الْمَالِ دَائِمٌ مُحْفُورٌ \*\*\* فِي دُنْيَتِهِ مَا يَسْوَاشِي  
زَهْوُ الدُّنْيَا لَا صَحَابَ الْمَالِ \*\*\* أَلَى يُعْنَفُورُ الشَّوَاشِي

والحكمة من هذين البيتين، أنّ من لا يملك المال، وليس صاحب جاه ونفوذ مادي، مكانته أقلّ دوماً ممّن يضعون الشواشي على جنب رؤوسهم حذو الأذن؛ أي: هذا مظهر من مظاهر التميّز والتألق والتألق في اللباس<sup>(14)</sup>.

كما تحضر أبيات الشاعر مصطفى بن ابراهيم بخاصّة في مختلف الوعدات، منها قوله:

حَرْفَيْنِ صَبْتُهُمْ تَحْتَ الْبِسْمَالَةِ \*\*\* أَلَا نُظَرُّهُمْ طَلَبَتِ الْمَمَاتِ  
الْإِسْلَامَ حُدَّهَا "الغايا" فَهَمَّهَا \*\*\* فِي حَرْفٍ "رَا" غَرَّقِي صَاعِبَ يَا سَادَاتِ  
أَمِنْ الْحُرُوفِ صُبَّتْ ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِمِينَ \*\*\* "خَا" وَ"عَيْن" وَ"الْمِيم" عَلَيْهِمْ بَطَّاتِ  
مَاذَا هُمُومٌ إِلَى زَاهَا جَايَةً \*\*\* أَعْدَابٌ لِلْعَرَبِ مَا لَهُمْ رَاخَاتِ<sup>(15)</sup>

ونرى اعتماد الكثير من الأبيات الشعريّة، وروايتها أثناء الحلقات، منها ما يعرف أصحابه، فيتّهم الاستشهاد بأقوالهم على مواقف معيّنة، ومنها ما هو منقول شفويّ مجهول قائله، وفي كلّ الأحوال يتمّ إلقاء

(13) مأخوذة من كتاب: قال المجدوب، لعبد الرحمن رباحي، دار الكتب، الجزائر، ط 3، مارس، 2011 م، ص 23.

(14) قال المجدوب، لعبد الرحمن رباحي، ص 83، بتصرف.

(15) ينظر، مصطفى بن ابراهيم، شاعر بني عامر ومدّاح القبائل الوهرانيّة، عبد القادر عوّدة، موفم للتّشعر، وزارة الثقافة، في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلاميّة، الجزائر، 2011 م، ص 293 / 294. للإشارة الأبيات لم ترد مشكولة، فهي اجتهادي الشخصي للأمانة العلميّة.

الأبيات ذات الصلة بالحكم والقيم الأخلاقية، والمعاملات الحسنة المستقاة من ديننا الحنيف، وفي ذلك كله حمولات فكرية ودينية، وشحنات عروبة واعتزاز.

### 5.9. الحكايا والألغاز والأمثال:

سمعا في أكثر من موضع، وعلى لسان أكثر من شيخ وبزاح في مختلف الودعات، سرد بعض الحكايا الشعبية، مع التصرف في ذلك عن طريق الاختصار، واختزال الأحداث، والإبقاء على الأهم منها. وأغلبها تدور حول العادات والتقاليد، وتنخللها بعض الألغاز والأمثال الشعبية المعروفة والمأثورة، وذلك قصد دفع المستمعين من الجمهور للمشاركة، والتفاعل معهم، وبعض الألغاز من مثل "لحم فرطاس ما يبرد ما يقرص"<sup>(16)</sup> وغيرها كثير، ويعتد في ذلك على التكرار، ومن الأمثال بخاصة في وعدات غليزان "الحُر بعزمة، والبرهوش بدبزة" وقولهم "أي مكسي برزق الناس غريان" وفي المثل حكمة وعبرة عدم التباهي بما ليس ملكا للشخص<sup>(17)</sup> وهي إشارة إلى الإنسان المتكبر كذلك.

ومن المواضيع التي يتم الحديث عنها في قالب فكاهي مضحك غالبا، موضوع "العجوز والكنة" ومرة يضرب له أمثلة إيجابية نحو قولهم "كنتي دائمة وبنتي هائمة" أو سلبا فيقال "إذا فاهمت العجوز والكنة بلّيس يدخل الجنة"<sup>(18)</sup> ففي الحالة الأولى "الكنة" لها مكانة لا يمكن الاستغناء عنها، وفي المثل الثاني الكنة يستحيل أن تتفاهم مع أم زوجها. فضلا عن موضوعات اليثم والينامي ومعاناهم، والوالدين، وكلام الناس، وغيرها كثير مما لا يسع المقام لذكره كله هنا؛ بحيث تُضرب الأمثلة وتُساق بحسب طبيعة الموضوع المعروض للجمهور.

### 10. خلاصة

إنّ تعاملنا مع موضوع "الوعدة" التي هي في أصلها موروث شعبي، جعلنا نربطها بمختلف الموروثات والعادات والتقاليد، وذلك لعلاقة التكامل بينها، فلا يمكن قيام "وعدة" من دون جملة من التعبيرات الفنية التي لها خصوصيات فونولوجية، جعلت منها سمة لتلك الوعدة، وبها ومن خلالها تم الحفاظ على نماذج لعديد الودعات الجزائرية. وتبقى الوعدة بما تحمله من أبعاد دينية، واجتماعية ونفسية وفكرية وأثروبولوجية موروثا شعبيا، وتقليدا يستحق الاهتمام، ويتطلب العناية بمرتكزاته الإيجابية التي يقوم عليها، وتنميتها وترقيتها إلى مصاف العالمية.

(16) وحلّ اللغز هو اللسان، ويضرب البراحون الكثير من الأمثلة، ويذكرون الكثير من الألغاز، ويسردون العديد من الحكايا عن اللسان، ومشاكله. ينظر، موسوعة الألغاز الشعبية، جميلة جريطي، دار الحضارة، الجزائر، ط 1، 2007 م، 25 / 26.

(17) الأمثال الشعبية في منطقة غليزان، سعاد بسناسي وآخرون، منشورات مخبر اللهجات ومعالجة الكلام، من أعمال الفرقة الثانية: بن عدة فاطمة، رحال هشام، بلعيد تازغت، والمؤلف تحت الطبع سيصدر قريبا عن دار أم الكتاب، مستغانم، وتليه إصدارات أخرى في المجال نفسه -بحول الله تعالى-.

(18) للاستزادة، موسوعة الأمثال الجزائرية، ربيع خلدوسي، دار الحضارة، الجزائر، د.ت. ص 130 / 131.